فضل العلم والعلماء

لقد جُبلت النفس البشرية على السّعي للشيء الذي تعرف فضله وقيمته، ولذلك أبدأ رسالتي بفضل العلم وفضل العلماء.

فالعلم أشرفُ ما رغبَ فيه راغب، وأفضلُ ما طُلِبَ وَجَدَّ فيه الطالب، وأنفعُ ما كسبه واقتناهُ الكاسب، وقد أعلى اللَّهُ ﷻ من شأن العلم والعلماء فقال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

قال الحافظ في الفتح: «يرفع اللَّهُ المؤمن العالم على المؤمن غير العالم، ورفعه درجات تدل على الفضل، إذ المراد به كثرةُ الثواب، وبها تُرفع الدرجات ورفعتها تشملُ المعنوية في الدنيا بعلو المنزلة وحسن الصيت، والحِسِّيَّة في الآخرة بعلو المنزلة في الجنة»[1].

وقال تعالى في فضل العلم والعلماء: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

---

(١) فتح الباري أول كتاب العلم (١/ ١٤١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

وقال لنبيه ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

قال الحافظ: «وفي هذا القول أكبر دلالة على فضل العلم لأن الله تعالى لم يأمر نبيه بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم، والمراد بالعلم العلمُ الشرعيّ الذي يفيدُ معرفة ما يجب على المكَلَّف من أمرِ دينه في عباداته ومعاملاته والعلمُ باللَّهِ وصفاتِه وما يحبُ له من القيام بأمره وتنزيهه عن النقائص»(١).

وكما وجه الله تعالى نبيَّه لطلب الزيادة من العلم، فقد جعل أول توجيهٍ رباني للأمة المحمدية بالقراءة فقد كانت أول الآيات التي نزلت على النبي ﷺ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ١ ـ ٥] فمن إكرام الله للإنسان أن علَّمه ومنحهُ العلم الذي به يخرج من الظلمات إلى النور، ويعرفُ كيفَ يعبدُ ربّه وكيفَ يَصلُ إلى مرضاته وجنته، وقد جاء في السنة العديدَ من الأحاديث التي تبينُ فضل العلم والعلماء فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن العلماءَ ورثةُ الأنبياء وَرَّثُوا العلم من أخذهُ أخذَ بحظٍ وافر ومن سلك طريقاً يطلبُ به علماً سَهَّل الله له طريقاً إلى الجنة**»(٢).

---

(١) فتح الباري: (١/ ١٤١).

(٢) من عند قوله: إن العلماء.. إلى قوله: وافر طرفٌ من حديث =

جاء في الفتح في شرحه: «فيه بشارة بتسهيل العلم على طالبه، لأن طلبه من الطرق الموصلة إلى الجنة، وبأن الله يوفقه للأعمال الصالحة الموصلة إلى الجنة[١].

وجاء في فضل العلم **«من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين»**[٢].

وعند أبي هريرةرضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: **«إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى ومن والاه أو عالماً أو متعلماً»**[٣].

= أخرجه أبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٢) وابن ماجه (٢٢٣) وابن حبان (١/ ٨٨) وأحمد (٥/ ١٩٦) من حديث أبي الدرداء. وقد أورد البخاري بعضه في صحيحه في كتاب العلم باب العلم قيل القول والعمل فقال: وإن العلماء هم ورثة الأنبياء ورثوا العلم من أخذه أخذ بحظ وافر ومن سلك طريقاً يطلب به علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة» قال الحافظ في الفتح (١/ ١٦٠) حسّنه حمزة الكناني وضعفه غيره بالاضطراب في سنده. لكن له شواهد يتقوى بها ولم يفصح المصنف بكونه حديثاً فلهذا لا يعد في تعاليقه لكن إيراده له في الترجمة يشعر بأن له أصلاً ا هـ. ومن عند قول: هو من سلك طريقاً أخرج هذه الجملة مسلم (٢٦٩٩) عن أبي هريرة. ولتمام شواهد انظر المسند جزء ٣٦ ص٤٦ ـ ٤٧.

(١) فتح الباري (١/ ١٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٧١، ٣١١٦، ٣٦٤١) ومسلم (١٠٣٧) كتاب الزكاة.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤١١٢) والترمذي (٤/ ٢٣٢٢) وحسّنه الألباني =

وعن أبي أمامة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**فضلُ العالم على العابد كفضلي على أدناكم**» ثم قال رسول الله ﷺ: «**إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في حُجرها وحتى الحُوت ليُصلون على معلمي الناس الخير**»[١].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب**».

قال الخطابي في معنى وضع الملائكة أجنحتها لطالب العلم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه بسط الأجنحة.

الثاني: أنه بمعنى التواضعَ تعظيماً لطالب العلم.

الثالث: أن المراد به النزول عند مجالس العلم وترك الطيران[٢].

ويكفي أهل العلم فضلاً ما ورد فيهم من القرآن الذي فقد

= صحيح الجامع الصغير (٣٤٠٨).

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٦٨٥) وصححه الألباني (المشكاة/ ٢١٣).

(٢) مختصر منهاج القاصدين ص١٧ وانظر ص٧، ومسند أحمد (٥/ ١٩٦).

قُرِنَ بينهم فيه وبين الملائكة قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨] فقد قرن الله بين الملائكة وبين أهل العلم، مما يدل على أن شهادة أهل العلم لها من الفضل الكثير، لأنهم أهل علم وبعلمهم يُعرف الله ويُعبد ﷻ.

كما دعى النبي ﷺ لمن يُعلِّم الناس العلم وينشر فيهم الخير فقال: «**نضر الله امرأ سمع مِنا شيئاً فبلَّغه كما سمعه فرب مُبلغٍ أوعى من سامع**»(١).

وصدق من قال: [البسيط]

ما الفضلُ إلا لأهلِ العلم إنهمُ
على الهدى لمن استهدى أدلّاءُ
وقَدْر كلِّ امرىءٍ ما كانَ يُحْسِنُهُ
والجاهلونَ لِأَهْلِ العلمِ أعداءُ
فَفُز بعلمٍ تَعِشْ حيًّاً بِهِ أبداً
الناسُ مَوْتَى وأهلُ العِلْمِ أحياءُ(٢)

ولقد أوصى الإمام علي رضي الله عنه كُميل بن زياد فقال: «يا كُميل بن زياد إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها، فاحفظ عني ما أقول لك: الناس ثلاثة: فعالم رباني وعالم متعلم على سبيل نجاه، وهمج رِعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم

(١) الترمذي (٥/ ٢٦٥٧) وصححه الألباني (المشكاة/ ٢٣٠).
(٢) إحياء علوم الدين (١/ ١٠٦).

يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق، العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تُنقصه النَّفقه والعلم يزكو على الانفاق، ومحبة العالم دين يُدان بها، وصنيعة المال تزول بزوال صاحبه، مات خُزَّان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلب موجودة»[١].

وقال الحسن رحمه الله: «لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم»[٢].

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: «تعلّموا العلم فإن تعلمه للَّه خشية، وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صَدَقة وَبَذْله لأهله قربة وهو الأنيس في الوحدة والصاحب في الخلوة»[٣].

وقال سفيان الثوري رحمه الله: «ما من عمل أفضل من طلب العلم إذا صحَّت النية»[٤].

وقال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول: «طلب العلم أفضل من الصلاة النافلة»[٥].

---

(١) الوصايا الخالدة ص١٠٢.
(٢) مختصر منهاج القاصدين ص١٨.
(٣) من وصايا الرسول ﷺ، لطه العفيفي.
(٤) جامع بيان العلم (١/ ٣١).
(٥) المصدر السابق (١/ ٣١).

obeikandi.com

وقال كعب رحمه الله: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: «أن تعلّم يا موسى الخير وعلمه للناس، فإني منور لمعلّم الخير ومتعلّمه قبورهم حتى لا يستوحشوا بمكانهم»[١].

وصدق من قال: [الطويل]

تعلَّم ففي العلم الشريف فوائدُ
يحنُّ لها القلبُ السليمُ الموفقُ
فمنهنَّ رضوان الإله وجنهُ
وفوزٌ وَعِزٌّ دائمٌ متحققُ
وعن زُمرةِ الجُهال إن كنت صادقاً
بعلمك تنجو يا أُخيَ وتسبقُ
فكن طالباً للعلم إن كنت حازماً
وإياكَ إن رُمتَ الهُدى تتوقفُ
ففي العلم ما تهواه من كل مطلب
وطالبه بالنور والحق يُشرق
حقاً ففي العلم السعادة والشرف.

عن أبي الدرداء قال: «يرزق الله العلم السعداء ويحرمه الأشقياء». وصدق من قال:

إِنَّما العِلْمُ مِنْحَة
لَيسَ في ذَا مُنازعْ

(١) مختصر منهاج القاصدين.

هُـــوَ لِـــلـــنَّـــفـــسِ لَـــذَّة
وَهْـــوَ لِـــلْـــقَـــدرِ رَافِـــعْ
يَـــعْـــرِفُ الـــنَّـــاسِـــي رَبَّـــه
وَهْـــوَ مَـــيـــتٌ وَشَـــاسِـــعْ
فَـــضْـــلُ الـــنَّـــاس كُـــلِّـــهـــم
فَـــاضِـــلٌ فِـــيـــه بَـــارِعْ

وعن عبد الله بن المبارك أنه قال: «خُيِّر سليمان بن داود بين الملك والعلم فاختار العلم، فآتاه الله الملك والعلم معه باختياره العلم»(١).

وعن عبد الرزاق قال: «سمعت سفيان يقول لرجل من العرب: ويحكم اطلبوا العلم فإني أخاف أن يخرج العلم من عندكم فيصير إلى غيركم فتذلون. اطلبوا العلم فإنه شرف في الدنيا وشرف في الآخرة»(٢).

قال الأحنف: «كاد العلماء أن يكونوا أرباباً، وكل عز لم يؤكد بعلم فإلى ذلٍ ما يصير».

ويروى عن أبي هريرة أنه قال: «لأن أجلس ساعة فأفقه من ديني أحب إليَّ من أن أحيى ليلة إلى الصباح»(٣).

وقال بعض العلماء: «من شرف العلم وفضله أن كل من نسب إليه فرح بذلك وإن لم يكن من أهله، وكل من دفع عنه

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٦٥).
(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٦٨).
(٣) سنن الدارقطني (٣/ ٧٩) شعب الإيمان (٢/ ٢٦٦).

ونسب إلى الجهل عزَّ عليه ونال ذلك من نفسه وإن كان جاهلاً».

وروي عن عمر بن الخطاب قال: «أيها الناس عليكم بطلب العلم فإن لله رداء محبة، فمن طلب باباً من العلم رداه الله بردائه ذلك، فإن ذنبا استعتبه وإن أذنب ذنباً استعتبه لئلا يسلبه رداءه ذلك وإن تطاول به ذلك الذنب حتى يموت»[١].

ويُقال: «ثلاثة لا بد لصاحبها أن يسود: الفقه والأمانة والأدب».

وقيل للقمان الحكيم: «أي الناس أفضل؟ قال مؤمن عالم إن ابتغى عنده الخير وجد».

وقال الحجاج لخالد بن صفوان: من سيد أهل البصرة؟ فقال له: الحسن، فقال: وكيف ذلك وهو مولى؟ فقال: احتاج الناس إليه في دينهم واستغنى عنهم في دنياهم، وما رأيت أحداً من أشراف البصرة إلا وهو يروم الوصول إلى حلقته ليستمع قوله، ويكتب علمه. فقال الحجاج: هذا والله السؤدد، والعلماء فُضلوا على الشهداء. ومما جاء في ذلك عن أبان بن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله ﷺ: «**يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء**»[٢].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (ص٧١١).

(٢) سنن ابن ماجه (٤٣١٣) والبيهقي في شعب الإيمان (٣٠٩) والطحاوي في معاني الآثار (١/ ٣٠).

وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء**»[١].

وصدق من قال: [الكامل]

أهلاً وسهلاً بالذينَ أُحبهم
وأودّهم في الله ذِي الآلاءِ
أَهْلاً بقومٍ صَالحينَ ذَوي تُقَى
غُرّ الوجوهِ وزين كُلّ مُلاءِ
يَسْعَونَ فِي طلبِ الحديثِ بِعفةٍ
وتوقرٍ وسَكينةٍ وحياءِ
لَهُمُ المهابةَ والجلالةَ والنّهَى
وفضائلٌ جَلَّت عن الإحصاءِ
ومدادُ ما تجري به أَقْلَامُهُمْ
أزكَى وأَفضلُ من دمِ الشهداءِ
يا طالبي علمِ النبيِّ محمدٍ
ما أنتمُ وَسِوَاكم بِسَوَاءِ

وهكذا يُعلى العلم من شأن صاحبه وينال به الشرف والتقديم في الدنيا والآخرة، وينال الفضل في كل أحواله.

وقال الغزالي رحمه الله في أول المستصفى: «العلم أربح المكاسب والمتاجر، وأشرف المعالي والمفاخر، وأكرم

(١) معاني الآثار (١/ ٣٦) والدر المنثور (٣/ ٧٢) وشرح السنة (٣/ ٣١٣) وكنز الخفا (١/ ٥٦١، ٢/ ٢١٠).

المحامد والمآثر، وأحمد الموارد والمصادر، فشرفت بإثباته الأقلام والمحابر، وتزينت بأسماعه المحاريب والمنابر، وتحلت برقومه الأوراق والدفاتر، وتقدم بشرفه الأصاغر على الأكابر، واستضاءت ببهائه الأسرار والضمائر، وتنورت بأنواره القلوب والبصائر، واستُحقر في ضيائه ضياء الشمس الباهر على الفلك الدائر».

وصدق من قال: [البسيط]

العلمُ يَجْلو العمى عَنْ قَلْبِ صَاحِبِهِ
كَمَا يَجلي سَوادُ الظلمةِ العمرُ
والعلمُ يُحيى قلوب الحامِلينَ لهُ
كالأرضِ تُحيى إذا ما مسها المطرُ

فعليكِ يا أختي المسلمة بالعلم فإنه الموصل إلى كل خير، وهو الدافع لكل ضير، وهو الذي شرّفه الله في الجملة وفضَّله وشرَّف أهله في كل ملة. واعلمي أنه خلق نفيس لا يُنال بالهوينة والدعة وإنما ينال بجد واجتهاد ومكابدة، فإن نيل العظيم لا يدرك إلا بأمر عظيم وعلى قدر الراحة يكون التعب.

وصدق من قال: [البسيط]

فاشدُدْ يَديكَ بحبلِ الدرسِ مُجتهداً
وإنْ أَمَضَّك طول الجوع والسهرِ
إنَّ التجارَ إذا راحوا وقد ربحوا
أنساهمُ الربح ما عناهم السفر

فلتكن تجارتك يا أختي المسلمة مع الله بصناعة العلماء، وطلب العلم النافع وتعليمه، ليكتب اسمك في الأرض وفي السماء في خير النساء «نساء صنعن علماء».

obeikandl.com